الفصل الثالث عشر

زهد القلب

إن من أشد الفتن خطرًا وأعظمها أثرًا فتنة الدنيا، فإنها تُطْغي وتُلْهي، وتُعْمِي وتنسي؛ وتضل وتهلك، وتدمر وتفتك، وأكثر الناس بها مفتونون وهم لا يشعرون، هم فيها غارقون وعليها يتكالبون، ومن أجلها يوالون ويعادون، ويؤثرون لذاتها العارضة، ونزواتها العابرة على النعيم المقيم وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧]. يقول الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا تصريحٌ بأنهم خلقوا للعبادة، فحق عليهم الاعتناء بما خلقوا له والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزهادة، فإنها دار نفاد لا محل إخلاد، ومركب عبور لا منزل حبور، ومشرع انفصام لا موطن دوام، فلهذا كان الأيقاظ من أهلها هم العباد، وأعقل الناس فيها هم الزهاد[1]. فتعالوا نرد النفوس إلى صوابها، ونوقظها من غفلتها وتعلقها بالدنيا وإيثارها والله المستعان عليه اعتمادنا وإليه تفويضنا واستنادنا ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه.

معنى الزهد في الدنيا

الزهد في الشيء هو الانصراف عنه احتقارًا له وتصغيرًا لشأنه للاستغناء عنه بخير منه يقول الغزالي في الإحياء: الزهد هو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه[2]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة، وقال سفيان الثوري: الزهد قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء.

---

(١) مقدمة «رياض الصالحين» للإمام النووي.

(٢) «الإحياء» (٤/ ٢١٧).

وقال الجنيد: الزهد في قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]. فالزهد لا يفرح من الدنيا بموجود، ولا يأسف منها على مفقود.

وقال يحيى بن معاذ: الزهد يورث السخاء بالملك، والحب يورث السخاء بالروح.

وقال ابن الجلاء: الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال فتصغر في عينك، فيسهل عليك الإعراض عنها.

وقيل: هو عزوف القلب عن الدنيا بلا تكلف.

وقال الجنيد: الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد.

سئل الإمام أحمد عن الرجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهدًا؟ فقال: نعم على شريطة ألا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا انقصت[1]. من خلال هذه الكلمات السابق سردها يتضح معنى الزهد: وهو أن ينصرف القلب عنها وألا يميل إليها؛ لأنه يكون ناظرًا إلى دار أخرى هي الأكمل والأبقى فيعمل للآخرة ويسعى لها سعيها ويتطلع إلى نعيمها ويصرف كل همته إلى تحصيله والحرص عليها وعدم الانشغال بالعاجلة الفانية عن الآخرة الباقية وهذا من أعظم أبواب الفلاح وأسباب الفوز العظيم الذي يسعى إليه كل عاقل ويحرص عليه كل مؤمن صادق تواب، والزهد زهد القلب وكم من زاهد بجوارحه وثيابه وهو في الحقيقة مفتون بالدنيا ممتلئ قلبه بالحرص عليها، ويعرف ذلك في كلامه عنها والاهتمام بها وعند المحن تظهر الحقائق وعند الابتلاء بفتنة السراء أو الضراء يبدو ذلك واضحًا جليًا، إن الزاهد من آثر الآخرة وكانت هي كل همه ومقصوده

(١) «تهذيب المدارج» [٢٨٣-٢٨٤]..

ولهذا يقول ابن القيم: والذي أجمع عليه أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه في منازل الآخرة(١).

وللزهد أقسام ثلاثة قال الإمام أحمد الزهد على ثلاثة أوجه: الأول- ترك الحرام وهو زهد العوام، والثاني- ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص، والثالث- ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين(٢).

حب الدنيا رأس كل خطيئة

قال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

وقال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٢-٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠٧ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾.

[النحل: ١٠٦-١٠٨]

وما من معصية فعلت ولا خطيئة اقترفت إلا وكانت الدنيا هي العامل الأول في وجودها وهي الداعي الأكبر في ارتكابها، إن أكثر أهل الأرض آثروا الكفر على الإيمان ميلًا إلى الدنيا وركونًا إليها وعمى عن الآخرة، هذه الدنيا من أكبر العقبات في طريق الدين ومن أخطر العوائق التي تعوق السائرين وتخذلهم عن الآخرة والسعي إليها، وما عودي الدين وحورب وما أوذي الأنبياء والعلماء والصالحون إلا بسبب هذه الدنيا، من

(١) المصدر السابق [٢٨٥]، قال: وعلى هذا المعنى صنف المتقدمون كتب الزهد «كالزهد» لعبد الله بن المبارك وللإمام أحمد ولوكيع ولنهاد بن السري وغيرهم..

(٢) المصدر السابق [٢٨٤].

أجلها وقع الكفر والنفاق والخيانة، من أجلها كان الكذب والغش والفجور، من أجلها قطعت الأرحام وسفكت الدماء وهتكت الأعراض، وانتشر الذعر والفزع، من أجلها قتل الأخ أخاه والابن أباه، وأكل الربا وغصبت الحقوق ووقع الظلم والسرقة وتلطخ الغافلون بفعل المحرمات واقتراف السيئات وفعل المنكرات وهلك خلق كثير انهماكًا فيها وانشغالًا بها وحرصًا عليها وإيثارًا لها ولسان حال أحدهم: الدنيا نقد والآخرة نسيئة والنقد أحسن من النسيئة أو كما قال بعضهم: ذرة منقودة ولا درة موعودة، أو كما قال ثالث: لذات الدنيا متيقنة ولذات الآخرة مشكوك فيها ولا أدع اليقين بالشك وقال رابع وبئس ما قال: الجنيه عندي هو أبي وأمي، مالي أغلى من أبي وأمي، وقال خامس: حينما أصابه بلاء وقلت له اصبر اصبر فقال: لقد سئمت ومللت من كثرة المشاكل أريد أن أعيش مستريحًا حتى لو دخلت النار في الآخرة.

وكل هذا من الغفلة والعمى، وضعف العقل وبلادة الفهم، والحيوان البهيم أعقل من مثل هؤلاء الذين سوَّل لهم الشيطان ما سوَّل وأضلهم عن سواء السبيل؛ فعياذًا بك اللهم من حال قوم غلبت عليهم غفلتهم واستحكمت فيهم شهواتهم ورغباتهم فتثاقلوا إليها، ولمثل هؤلاء الذين رضوا بالدنيا واطمأنوا بها وغفلوا عن الآخرة ورغبوا عنها وأهملوا العمل لها يأتي هذا الوعيد الشديد فيقول ربنا جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥-١٦]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس: ٧-٨]. إن كثيرًا من الناس اغتروا بهذه الدنيا وفرحوا بها ومالوا إليها حتى نسوا الآخرة وغفلوا عنها قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ [الإنسان: ٢٧]. وبين الله عَزَّوَجَلَّ خطورة التعلق بالدنيا

وإيثارهـا، ذلكـم التعلق الذي يؤدي إلى الطغيان ومجاوزة الحـدود الشرعية والتفلت من الدين عياذًا بالله قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾. [النازعات: ٣٧-٣٩]

درة وضرة

الدنيا كاسـمها دنية زائلة فانية والآخـرة خير وأبقى، ومثل الدنيا كقطعة من الثلج تـذوب ثم تذوب ثـم تنتهي ومثل الآخرة كقطعة من الدر تبقـي بجمالها وجلالها وبهائها والعاقـل مـن آثر مـا يبقى على ما يفنـى، وعمل للنعيم المقيـم ولم ينخدع بلـذة يعقبها ألم وينغصهـا كـدر، ويشـوبها غموم وهمـوم ولا يصفو فيها لأحـد نعيم، ولا تجتمـع الدنيا والآخرة في قلب أبدًا فإما أن تسـيطر على القلب هموم الآخرة وإما أن تسـيطر عليه هموم الدنيـا فـأي الهمين همك؟! وأي القصديـن قصدك؟! وأي الدارين هـي الأولى والأحق بالسعي عندك؟!

قال رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مـن كانت الآخرة همه جعل الله غنـاه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرَّق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له»**[(١)].

وقال عبد الله بن مسـعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: من أراد الدنيـا أضر بالآخرة، ومن أراد الآخرة أضر بالدنيـا يا قوم، فأضروا بالفاني للباقـي[(٢)]، إن أصل البلاء هو الركون إلى هذه الدنيا والتثاقـل إليهـا وذلـك لضعف البصـيرة وقلة الفهـم بل الجهل الشـديد بحقيقـة الدنيا والآخرة، إن الدنيا ما هي إلا ظل زائل، وغرور باطل، وحال حائل وركن مائل، ورفيق خـاذل، كـم تعد وتماطل، والله ما فرح بها عاقل، أي عقل هـذا الذي يؤثر بعرة على درة، وحصـاة عـلى جوهرة، وخيال عـلى حقيقة، وسراب على شراب، ليسـت الدنيا شـيئًا في

(١) رواه الترمذي برقم [٢٤٦٥]، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم [٩٤٩].
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٩٦).

الآخرة لقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما عند مسلم من حديث المستورد بن شداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «**ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع**»(١).

وفيه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يارب ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ في الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط**»(٢).

والله ثم والله؛ إن المرء ليعجب من أناس يقضون أعمارهم في الأسفار طلبًا لزيادة الأموال وكثرة العقارات ثم يموت أحدهم ويترك كل ما جمع إنه تلوح الآن أمام ناظري شخصيات كثيرة أعرفها مضوا عمرًا طويلًا يجمعون ويجمعون وبنوا بيوتًا فارهة، واشتروا عقارات فخمة، ثم تركوا كل ذلك ومضوا وانتفع بها غيرهم ولسنا نحرم جمع المال ولكن الخطورة أنهم مضوا إلى ربهم مفلسين من طاعته، مرتكبين لمعاصيه ثم يسأل أحدهم عن كل جنيه جمعه كما قال يحيى بن معاذ: مصيبتان في المال ما سمعت الخلائق بمثلهما عند الموت: الأولى- يؤخذ منه ماله كله والثانية- يسأل عنه كله.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها؛ ولغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**»(٣)، ياله من فارق عظيم وبون شاسع كبير بين دارٍ فانية اغتر بها أكثر الناس وبين دار النعيم التي لا يوفق للعمل لها إلا السعداء المفلحون الذين اجتباهم ربهم واصطفاهم ورحمهم وهداهم.

(١) رواه مسلم برقم [٢٨٥٨].
(٢) رواه مسلم برقم [٢٨٠٧].
(٣) رواه البخاري برقم [٦٤١٥].

فيا عبد الله، أنزل الدنيا منزلتها التي أنزلها الله فكم حذرك من الغرور بها والتثاقل إليها، واجعل حياتك كلها عامرة بما يحقق لك النعيم المقيم في الآخرة، تأمل كيف كان ذلك حال الصالحين من عباد الله؟ هذا شاب عزب لا بيت له ولا مال ولا زوجة ولا وظيفة وبرغم ذلك فهمته أمرٌ أعلى وغاية أسمى ومرادًا أكمل إنه لا يتطلع إلى متاع رخيص أو عرضًا حاضرًا بل يتطلع إلى جنة الخلد بل وإلى مرافقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها إنه أبو فراس ربيعة بن كعب الأسلمي يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنت أبيت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فآتيه بوضوئه فقال: «سلني» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة فقال: «أو غير ذلك؟» قلت: هو ذاك، قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»[1]، هذه هي القلوب الحية والضمائر اليقظة والنفوس الزاكية، أولئك الذين عرفوا حقيقة الدنيا فعزفوا عنها وعرفوا حقيقة الآخرة فرغبوا كل الرغبة فيها ودعك من أناس يصفقون للدنيا ويغنون، ويطربون بنعيمها ويجهلون، حتى إذا انقضت مدة بقاء أحدهم فيها ندم في وقت لا ينفع فيه الندم، حينما باء بالخسارة وتلهَّى بالأماني وانشغل بسفاسف الأمور حتى وقف أمام ربه حسيرًا خاسئًا نادمًا حزينًا كما قيل:

ركنوا إلى الدنيا الدنية ... وتبوَّأوا الرتب السنية

حتى إذا اغتروا بها ... صرعتهم أيدي المنية

لقد شنَّع الله عَزَّوَجَلَّ على الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، أولئك الذين يجعلونها أكبر همهم، وغاية علمهم لقد عاب عليهم تثاقلهم إليها ورضاهم بها من الآخرة قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي

(١) رواه مسلم برقم [٤٨٩].

﴿ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]. وبين الله حقارة الدنيا بجانب الآخرة فقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

قال شيخ لتلميذه: يا بني، لا يكن همك ما تأكل وما تشرب وما تلبس وما تنكح وما تسكن وما تجمع كل هذا هم النفس والطبع فأين هم القلب همك ما أهمك، فليكن همك ربك عَزَّوَجَلَّ وما عنده.

هذه هي الدنيا:

عجبًا لمن رأى الدنيا وسرعة تقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها وكيف يغتر بها كان الإمام أحمد يقول: يادار، تخربين ويموت ساكنك.

وقال الحسن: إن الموت قد فضح الدنيا فلم يدع لذي لُبٍّ بها فرحًا.

وقال مطرف: إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم؛ فالتمسوا نعيمًا لا موت فيه.

وقال يونس بن عبيد: ما ترك ذكر الموت لنا قرة عين في أهل ولا مال.

وقال يزيد الرقاشي: أمن أهل الجنة الموت فطاب لهم العيش وأمنوا الأسقام فهنيئًا لهم في جوار الله طول المقام.

عيوب الدنيا بادية، وهي بصبرها ومواعظها منادية لكن حبها يعمي ويصم، فلا يسمع محبها نداءها ولا يرى كشفها للغير إيذاءها.

دخلت أم جعفر بن يحيى البرمكي على قوم في يوم عيد أضحى تطلب جلد كبش تلبسه وقالت: هجم عليَّ مثل هذا العيد وعلى رأسي أربعمائة وصيفة وأنا أزعم أن ابني جعفر عاق لي.

كانت أخت أحمد بن طولون صاحب مصر كثيرة السرف في إنفاق المال حتى إنها زوجت بعض لعبها فأنفقت على وليمة عرسها مائة ألف دينار فما مضى إلا قليل حتى رؤيت في سوق من أسواق بغداد وهي تسأل الناس.

خلع بعض خلفاء بني العباس وكحل وحبس ثم أطلق فاحتاج إلى أن وقف يوم جمعة في الجامع فقال للناس: تصدقوا عليَّ فأنا من قد عرفتم.

عباد الله هلموا إلى دار لا يموت سكانها، ولا يخرب بنيانها، ولا يهرم شبابها، ولا يتغير حسنها وإحسانها، هواؤها النسيم وماؤها التسنيم يتقلب أهلها في رحمة أرحم الراحمين، ويتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم كل حين ﴿لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1] [يونس: ١٠].

دعوة ربانية نبوية إلى الزهد في الدنيا

الدنيا مزينة مزخرفة جذابة خداعة تستميل إليها النفوس وتسيطر بزينتها على العقول، ولذا فقد أكثر ربنا من التحذير من الغرور بها والتلهي بها عن الآخرة والتزود لها، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥]. إنها غرارة خداعة، إنها لهو وزينة وسوف يكون مآل ما فيها إما مغفرة لمن أطاع واتقى وإما عذاب لمن عصى واتبع الهوى، قال الله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

---

(١) بتصرف وانتقاء من «لطائف المعارف» [٤٩-٥٢].

يقول تعالى موهنًا أمر الحياة الدنيا ومحقرًا لها ﴿ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ أي: إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا كما قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ ﴾ أو هو المصر الذي يأتي بعد قنوط الناس كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ ﴾ [الشورى: ٢٨]. وقوله تعالى: ﴿ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾ [الحديد: ٢٠] أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث وكما يعجب الزرع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار فإنهم أحرص شيءٍ عليها وأميل الناس إليها ﴿ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ﴾ أي: يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرًا بعدما كان خضرًا نضرًا ثم يكون بعد ذلك كله حطامًا أي: يصير يبسًا متحطمًا هكذا الحياة الدنيا تكون أولًا شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزًا شوهاء والإنسان يكون كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غضًا طريًا لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه ثم يكبر فيكون شيخًا كبيرًا ضعيف القوى قليل الحركة يعجزه الشيء اليسير كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤]. ولما كان هذا المثل دالًا على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة وأن الآخرة كائنة لا محالة حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير فقال: ﴿ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠] أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا إما عذاب شديد وإما مغفرة من الله ورضوان، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾

أي: هي متاع فانٍ غارٌّ لمن ركن إليها، فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى دار الآخرة[١].

وقال الله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٥-٤٦]. إن مثل الحياة الدنيا كمثل المطر ينزل على الأرض فيختلط نباتها تنبت من كل زوج بهيج، فبينا زهرتها وزخرفها تسر الناظرين وتفرح المتفرجين، وتأخذ بعيون الغافلين إذ أصبحت ﴿هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ فذهب ذلك النبات الناضر والزهر الزاهر، والمنظر البهي فأصبحت الأرض غبراء ترابًا قد انحرف عنها النظر وصرف عنها البصر وأوحشت القلب كذلك هذه الدنيا بينما صاحبها قد أعجب بشبابه، وفاق فيها على أقرانه وأترابه، وحصل درهمها ودينارها واقتطف من لذته أزهارها وخاض في الشهوات في جميع أوقاته وظن أنه لا يزال فيها سائر أيامه إذ أصابه الموت أو التلف لماله فذهب عنه سروره، وزالت لذته وحبوره، واستوحش قلبه من الآلام، وفارق شبابه وقوته وماله وانفرد بصالح أو سيئ أعماله هنالك يعض الظالم على يديه حين يعلم حقيقة ما هو عليه[٢].

إن الدنيا ليست دار إقامة فاعبرها ولا تعمرها، وتزود منها للآخرة فأسعد الناس فيها من زهد فيها:

---

(١) «المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير» [١٣٦٨٠-١٣٦٩].

(٢) «تفسير السعدي» ص [٥٥٠].

إن لله عبادًا فطنًا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

وها هو نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شدة حرصه على أمته وصدق نصحه لهم وعظمة شفقته عليهم دعاهم إلى الزهد في هذه الدار والتأهب لدار القرار ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»(١). إنها وصية نبوية بليغة احذر الدنيا واحترس منها ولا يغرنك ما ترى من غرورها فإنه طيف عاجل، وخيال عابر، إنها كماء البحر كلما شرب منه الإنسان ازداد عطشه فإذا شرب ازداد عطشه وهكذا حتى تنفجر بطنه وقد طبع الإنسان على الميل إليها والطمع في تحصيلها والرغبة في زيادتها كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو أن لابن آدم واديًا من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب**»(٢). وقد ربى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صحابته الكرام على حقارة الدنيا وقلة شأنها وضرب لهم على ذلك أمثلة عملية واقعية ترسخ في النفوس وتثبت في القلوب روى مسلم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ بالسوق والناس كنفتيه فمرَّ بجديٍ أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: «**أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟**» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيءٍ وما نصنع به؟ قال: «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: والله لو كان حيًا كان عيبًا إنه أسك؛ فكيف وهو ميت؟! فقال: «**فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**»(٣).

---

(١) رواه مسلم برقم [٢٧٤٢].
(٢) رواه البخاري برقم [٦٤٣٨]، ومسلم برقم [١٠٤٩].
(٣) رواه مسلم برقم [٢٩٥٧].

إن الدنيا دار غربة ووطن المؤمن الحقيقي هو الجنة، هذه الدنيا ليست دار قرارك ولا مكان بقائك، بل أنت راحل عنها منتقل منها، تارك كل ما فيها؛ فكن كالغريب في دار الغربة بل كن كعابر السبيل الذي لا يتخذ في سبيله سكنًا ولا يتوقف عن سيره وتلك وصية عظيمة كريمة أوصى بها رسول الله ﷺ أمته كلها في شخص عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والحديث رواه البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبيَّ فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك[(١)]. قال الإمام النووي في كتابه المبارك رياض الصالحين: قالوا في شرح هذا الحديث معناه: لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنًا ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها إلا بما يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله وبالله التوفيق[(٢)].

وسمى النبي ﷺ المتعلقين بها المشغولين بمتعها عبيدًا لها تأمل هذه المعلومة المهمة الخطيرة هناك من الناس من هو عبد للمال، عبد للشهوة، عبد للمنصب، عبد للجاه، عبد للهوى، عبد للعادات والتقاليد، تأخذ هذه الأشياء همة قلبه وتصرفه إليها وتكون هي شغله الشاغل وهمه الدائم ورغبته المسيطرة ومن أجلها يوالي ويعادي ومن أجلها يفرط في دينه وعبوديته لربه جل وعلا، تأمل معنى قول رسول الله ﷺ: «**تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض**»[(٣)].

وروى الإمام مسلم عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قال: «**يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما**

---

(١) رواه البخاري برقم [٦٤١٦].

(٢) «رياض الصالحين» ص [١٧٥].

(٣) رواه البخاري برقم [٢٨٨٧].

أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت»[(١)]. إنها الدنيا إلى زوال وإلى انقضاء وانتهاء ونحن سائرون إلى ربنا كل يوم يمر علينا يقترب رحيلنا عنها إلى الآخرة فماذا أعددنا للقاء ربنا؟!

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون؛ فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عملٌ ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل[(٢)].

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: من تفكر في عواقب الدنيا أخذ الحذر، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر، ما أعجب أمرك يا من يوقن بأمرٍ ثم ينساه، ويتحقق ضرر حالٍ ثم يغشاه: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. تغلبك نفسك على ما تظن ولا تغلبها على ما تستيقن، أعجب العجائب سرورك بغرورك وسهوك في لهوك عما قد خبئ لك[(٣)]، ويقول: من تأمل بعين الفكر دوام البقاء في الجنة في صفاء بلا كدر، ولذات بلا انقطاع، وبلوغ كل مطلوب للنفس، والزيادة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من غير تغيير ولا زوال، إذ لا يقال ألف ألف سنة ولا مائة ألف بل ولو عدا الإنسان ألوف ألوف السنين لا ينقضي عدده وكان له نهاية، وبقاء الآخرة لا نفاد له إلا أنه لا يحصل ذلك إلا بنقد هذا العمر، وما مقدار عمر غايته مائة سنة منها خمسة عشر صبوة وجهل، وثلاثون بعد السبعين -إن حصلت- ضعف وعجز والتوسط نصفه نوم، وبعضه زمان أكل وشرب وكسب، والمنتحل منه للعبادات يسير ألا يشتري ذلك

---

(١) رواه مسلم برقم [٢٩٥٨].

(٢) رواه البخاري في كتاب «الرقاق» باب في الأمل وطوله.

(٣) «صيد الخاطر» ص [١٣] ط. دار الحديث.

الدائم بهذا القليل؟! إن الإعراض عن الشروع في هذا البيع والشراء لغبن فاحش في العقل وخلل داخل في الإيمان بالوعد[١].

سير الزاهدين

في عصر الأنانية البغيضة، وحب الاكتناز والحرص الشديد على المال، والتسابق الرخيص على تحصيل الأعراض والأغراض الخسيسة الدنيئة نحتاج إلى صورة صادقة من الزهد في الدنيا نتربى من خلالها، ونتعلم من سردها، ونتأسى بها، ونحاول إقامة الحياة على منهاجها لا سيما وسلفنا الصالحون كانوا أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة، وأعلمهم بالله ودينه وفي حياتهم عبرة للمعتبرين وأسوة للمقتدين ومنهاج للمسترشدين، فتعالوا نعيش بقلوبنا معهم ونتضوع من مسك هديهم ونتأنق في رياض صدقهم، ونتمتع بطيب الحديث عنهم.

سيد الزاهدين وإمامهم

هذا أسبق خلق الله إلى الله في كل باب من أبواب الخير وإذا كان الزهد ينبثق من العلم بحقيقة الدنيا والآخرة فلا أعلم بذلك من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أرغب في الآخرة ولا أزهد في الدنيا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو شاء لحولت له الجبال ذهبًا وفضة بدعوة واحدة ولكنه الزهد الصادق؛ وإليك بعض الشواهد في ذلك:

روى مسلم عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذكر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما أصاب الناس من الدنيا فقال: لقد رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يظل اليوم يلتوي لا يجد من الدقل ما يملأ به بطنه[٢].

---

(١) المصدر السابق [٣٥٩-٣٦٠].

(٢) رواه مسلم برقم [٢٩٧٨].

وعند الترمذي بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حصير فقام وقد أثر في جنبه قلنا: يارسول الله، لو اتخذنا لك وطاء فقال: **«مالي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»**[(١)].

وعن عروة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها كانت تقول: والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نار، قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان؛ التمر والماء إلا أنه قد كان لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جيران من الأنصار وكانت لهم منايح وكانوا يرسلون إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ألبانها فيسقينا[(٢)].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لو كان لي مثل أحدٍ ذهبًا لسرني ألا تمر عليَّ ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين»**[(٣)].

وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما في بيتي من شيءٍ يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رفٍّ لي، فأكلت منه حتى طال عليَّ فكلته ففنى[(٤)].

وعن عمرو بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما ترك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند موته دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أمة ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة[(٥)]، الله أكبر هذا سيد ولد آدم، وأحب خلق الله إلى الله، وأقوم خلق الله بأمره يموت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم يموت وما ترك من الدنيا شيئًا، لا والله ما خلف عقارات ولا أملاك ولا عبيدًا ولا قصورًا ولا مزارع ليعلم كل مغرور مخدوع

---

(١) رواه الترمذي برقم [٢٣٧٧]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٦٦٨].
(٢) رواه البخاري برقم [٢٥٦٧]، ومسلم برقم [٢٩٧٢].
(٣) رواه البخاري برقم [٢٣٨٩]، ومسلم برقم [٩٩١].
(٤) رواه البخاري برقم [٦٤٥١]، ومسلم برقم [٢٩٧٣].
(٥) رواه البخاري برقم [٤٤٦١].

أن الدنيا دار عبور، وليست دار تنعم وحبور، ومهما جمعت منها فسوف ترحل عنها وتترك كل ما جمعت ولكن ذلك الذي تركته لن يتركك بل سوف تحاسب على كل شيءٍ منه يقول ذو النون المصري: هب أن الدنيا كلها ملك يديك، ومثلها ضم إليك، ثم جاءك الموت ماذا في يديك؟!

أيها الإخوة، إننا نعيش في عصر مادِّي يحرص أهله كل الحرص على الدنيا، يحاربون عليها ويقاتلون للتنافس فيها، ويحسدون ويحقدون ويسارعون بكل لهفة وحرص إليها وصار كل همهم تحصيلها وجمعها وادخار متاعها، وكنز الأموال والأملاك فيها ويعرضون بسبب كل ذلك عن دينهم ويتغافلون عن طاعة ربهم ويفرطون في نصرة الشرع وإعزاز الشريعة في واقع الناس، إنك إذا نظرت إلى المدن الجديدة كمدينة أكتوبر والعاشر وغيرهما وجدتها مليئة بالشقق الخالية من السكان، إنها كثيرة جدًا لكنها مغلقة وأصحابها أناس اشتروها وتركوها معطلة هكذا تأمينًا للمستقبل زعموا، وحتى يكبر الأولاد كما في ظنهم[1]، وأنفق كثير منهم زهرة الشباب في هذا التنافس العجيب والغريب وما استفاق أكثرهم من هذه الغفلة الجاثمة حتى داهمهم الموت وما استعدوا له، وحتى نودي عليهم بالرحيل وما أخذوا له أهبته فيا لحسرة قلوب باعت دار خلد مقيم بتنافس خسيس رخيص على حطام زهيد.

ما رأينا من هؤلاء من يحرص على جمع المال من أجل خدمة الدين واستعماله في نصرته ونشر الدعوة والعلم أو رفع العناء بهذا المال عن أهل البلاء والفقراء والمدينين والمكروبين من المسلمين في كل مكان، ها هو أيها الغني الثري أخوك المسلم يفترسه المرض ولا يجد دواء والآخر يصارع الفقر ولا يجد طعامًا، وثالث أصيب في ماله ولا يجد

(١) إن الذي نستنكره هنا هو الانصراف عن الآخرة وترك الطاعة ونسيان الآخرة وشغل القلب والعقل والهمة بهذه الأمور الدنيوية وإلا فلو وسع الله على عبدٍ مقيم للشرع ملتزم بالهدى معه المال في يده لا في قلبه فلا مانع من أن تُرى نعمة الله عليه.

مواسيًا، ورابع مدين سجين لا يجد من يسدد دينه أو ينفق على عياله وأنت مشغول بنفسك غارق في الترف والإسراف والتبذير، أين الحرص على تحقيق الأمان وكشف الغموم عن أبناء الأمة الذين هم إخوانك في العقيدة اللهم إنا نعوذ بك من الأثرة والأنانية، واملأ اللهم قلوبنا بالرحمة لعبادك والشفقة على إخواننا من المسلمين

وها هو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخرج يومًا من بيته ما أخرجه إلا الجوع ثم يجد في المسجد أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وما أخرجهما إلا الجوع وهم سادة المسلمين وأئمة هذا الدين حتى إذا طعموا في بيت أبي الهيثم بن التيهان أخبرهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذا نعيم يسأل العبد عنه يوم القيامة سؤال تعداد النعم لا سؤال توبيخ وتعذيب روى مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: «**ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟**» قالا: الجوع يا رسول الله، قال: «**وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوما**» فقاما معه، فأتى رجلًا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلًا فقال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أين فلان؟**» قالت: ذهب يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبيه ثم قال: الحمد لله ما أحدٌ اليوم أكرم أضيافًا مني فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال: كلوا وأخذ المدية فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إياك والحلوب**» فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم**»[(١)].

بل يموت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم يموت ودرعه مرهونة عند يهودي في طعام اشتراه منه لم يجد له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمنًا، في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:

---

(١) رواه مسلم برقم [٢٠٣٨].

توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شعير[١].

ولم يكن زهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زهد فاقد بل زهد واجد ولو شاء لحولت له الجبال ذهبًا بل إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حصلت له أموال كثيرة ولكنها جاد بها وأنفقها وهذا من زهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ روى مسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين وخرج إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيرًا حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها[٢].

أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هؤلاء هم أصدق من عاش الحياة على معاني الإيمان، وأرغب الناس في الآخرة وأزهدهم في الدنيا، لقد كانت همتهم ورغبتهم ومقصدهم إعلاء كلمة الله ونصرة دينه بهذا مدحوا، وبهذا نالوا الفضل والكرامة، لا ببناء دور أو جمع أموال[٣]، لقد فتحت أمامهم البلاد وخضعت لهم الدول ودخل الناس في دين الله أفواجًا حينما كانوا أحرص على الموت من حرص أعدائهم على الحياة، إنهم بذلوا أرواحهم ودماءهم، وهجروا ديارهم ووقفوا في وجه العالم كله، مسترخصين دماءهم متطلبين لموعود ربهم، حتى دهش الخلق من أخلاقهم وتعجبوا من نبل شمائلهم كانوا في الليل رهبانًا وفي النهار فرسانًا، وفي نشر العلم والدعوة هداة مهتدين، أعطوا للدنيا حجمها اللائق بها وما تناءت نفوسهم إليها، وما استحوذ على قلوبهم زخرفها ولا زينتها، بل انطلقوا فاتحين منتصرين لا يضرهم جوع ولا ظمأ، ولا حر ولا قر، ولا كيد ولا مكر، أبدًا ما فرطوا ولا تخاذلوا، كهذا التخاذل الذي نراه هذه الأيام، من أناس يميلون إلى الدنيا فتميل بهم، وينصرفون إليها وتصير

(١) رواه البخاري برقم [٢٩١٦]، ومسلم برقم [١٦٠٣].

(٢) رواه مسلم برقم [٢٣١٢].

(٣) مجرد بناء الدور وجمع الأموال لا شيء فيه مادام ذلك منضبطًا بالشرع لكن الذي نشنع عليه هنا هو أن يجعل ذلك كل همه وهمته عياذًا بالله.

هي المسيطرة على عقولهم، وقلوبهم وهم لا يشعرون، ويزهدون في نشر الحق ونصره إيثارًا لسلامة عاجلة وخروجًا من لوم لائمين أو أذى ظالمين أو خبث ماكرين تالله ما هذا إلا إيثار للدنيا على الدين، وكيد ووسوسة من الشياطين فتعالوا نتربى بأخلاق الصحابة ونرى كيف كانوا، وكيف زهدوا، وكيف صابروا وصبروا، وكيف جاهدوا وصدقوا.

هذا هو مصعب الخير مصعب بن عمير الذي زهد في نعيم حاضر وترف غالب إلى النعيم المقيم وترك الدنيا لأهلها وأقبل راغبًا في الآخرة يسابق إليها ويعمل لها حتى وافاه أجله وهو صفر من الدنيا فائز بالآخرة نائل لنعيمها بعد أن أكرم بالشهادة في سبيل الله، ورد في الصحيحين عن خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: هاجرنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نلتمس وجه الله تعالى فوقع أجرنا على الله، فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئًا منهم مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتل يوم أحد وترك نمرة فكنا إذا غطينا به رأسه بدت رجلاه وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فأمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نغطي رأسه ونجعل على رجليه شيئًا من الإذخر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها[1].

بالله هل علمت في هذا الزمان الذي نحن فيه أن مسلمًا فقيرًا مات ولم يوجد له كفن غير ثوبه الذي مات فيه؟! أرأيت إلى مصعب الذي هو خير من ملء الأرض من مثلنا يوضع على رجليه إذخر ليكون كفنًا له وذلك لأنه أراد ما عند الله وعمل لطلب جنة الله وقد نالها بإذن الله فأين الموفقون؟! أين أهل اليقظة الذين يؤثرون الآخرة والعمل لها على هذه الدنيا التي تكالب عليها الطغام الغافلون؟!

وهذا سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة وأول من رمى بسهم في سبيل الله يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، ولقد كنا نغزو مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لنا طعام إلا ورق الحبلة وهذا السمر حتى إن كان أحدنا ليضع

(١) رواه البخاري برقم [٦٤٤٨]، ومسلم برقم [٩٤٠].

كما تضع الشاة ما له خلط[١]، ويقول عتبة بن غزوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشداقنا، فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها[٢].

وهذا أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة ونحن ستة على بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا، ونقبت قدمي، وسقطت أظفاري فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب على أرجلنا من الخرق قال أبو بردة: فحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم كره ذلك وقال: ما كنت أصنع بأن أذكره قال: كأنه كره أن يكون شيئًا من عمله أفشاه[٣]. ما تعللوا بفقر وما تركوا الجهاد لقلة ما بأيديهم من الدنيا، وما قال أحدهم بقول المنافقين ولا بقول المرجفين الذين يقول أحدهم لماذا أهلك صحتي وجسدي؟ ولماذا أرهق نفسي قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨١-٨٢].

وتأمل كيف ساروا في الأرض ينشرون الهدى ويطيعون الله ورسوله، وهم لا يبالون بجوع أو عطش أو فقر وحاجة ها هي سرية يبعثها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يجد لهم مؤنة غير جراب من تمر فيكتفي الواحد منهم بتمرة واحدة طوال يومه، أربعة وعشرون ساعة لا يدخل جوفه إلا تمرة واحدة وهم في حر شديد وسفر وسير في الصحراء وفي مشقة توهي العمالقة، وتوهن القوى، ولكنها الاستعانة بالله وصدق الرغبة فيما عنده ولما ينتهي التمر يأكلون ورق الشجر الغليظ لا يجدون غيره حتى فرج الله عنهم بدابة العنبر الشاهد أن ذلك الجوع لم يصدهم عن قصدهم، ولم يوهن عزائمهم ولم يضعف هممهم

(١) رواه البخاري برقم [٦٤٥٣]، ومسلم برقم [٢٩٦٦].

(٢) رواه مسلم برقم [٢٠٣٨].

(٣) رواه البخاري برقم [٤١٢٨]، ومسلم برقم [١٨١٦].

والبذل في سبيل الله له لذة عجيبة واستعذاب العذاب في سبيل الله له متعة عظيمة يجدها والله من عاشها ويستلذ بها الموقنون من عباد الله.

روى مسلم عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بعثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمر علينا أبا عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نتلقى عيرًا لقريش، وزودنا جرابًا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة فقيل: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل وكنا نضرب بعضنا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله قال: وانطلقنا على ساحل البحر، فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر فقال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا، بل نحن رسل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا، فأقمنا عليه شهرًا ونحن ثلاثمائة، حتى سمنا، ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن ونقطع منه الفدر كالثور أو كقدر الثور، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلًا فأقعدهم في وقب عينه وأخذ ضلعًا من أضلاعه فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمه وشائق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكرنا ذلك له فقال: «**هو رزق أخرجه الله لكم؛ فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟**» فأرسلنا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه فأكله[1].

وروى البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما ازار وإما كساء وقد ربطوا في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه كراهية أن ترى عورته[2].

وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مغشيًا عليَّ فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أني

(١) رواه مسلم برقم [١٩٣٥].

(٢) رواه البخاري برقم [٤٤٢].

مجنون، وما بي من جنون، وما بي إلا الجوع[١]. وذلك لأن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضحى بكل شيء وجعل كل نهمته وهمته حفظ أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان يتبع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على شبع بطنه، وصبر على ذلك، حتى صار رواية الإسلام وحافظ السنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. إن الدنيا لا يمكن أبدًا أن تسيطر على قلب أبصر حقيقتها وعرف مراد الله من وجوده فيها وعرف حقيقة الآخرة وأن السعادة سعادة الآخرة والراحة الحقيقية راحة الآخرة، حينما يبشر المرء بجنة عالية ينادى فيها مع إخوانه من المؤمنين: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]. وأعرف الناس بحقيقة الدنيا والآخرة بعد الأنبياء هم الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين كان زهدهم فيها على قدر علمهم بها.

قال شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنكم لن تروا من الخير إلا أسبابه ولن تروا من الشر إلا أسبابه، الخير كله بحذافيره في الجنة والشر كله بحذافيره في النار، وإن الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر، ولكلٍّ بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا[٢].

وعن مالك الدار أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخذ أربع مائة دينار فقال لغلامه: اذهب بها إلى أبي عبيدة ثم تلَّه ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع قال: فذهب بها الغلام فقال: يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه، فقال: وصله الله ورحمه ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفذها، فرجع الغلام إلى عمر وأخبره، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل فأرسله بها إليه فقال معاذ: وصله الله، يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا ولبيت فلان بكذا، فاطلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا ولم يبق في الخرقة إلا ديناران فدحا بهما إليها ورجع الغلام وأخبر

---

(١) رواه البخاري برقم [٧٣٢٤].

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٧٠٩).

عمر فسُرَّ بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض[١]. وهذا طلحة بن عبيد الله أتاه مال من حضرموت سبعمائة ألف، فبات ليلته يتململ فقالت له زوجته: مالك؟ قال: تفكرت منذ الليلة فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قال: فأين أنت عن بعض أخلائك فإذا أصبحت فادع بجفان وقصاع فقسمه فقال لها: رحمك الله إنك موفقة بنت موفق وهي أم كلثوم بنت الصديق، فلما أصبح دعا بجفنة فقالت له زوجته: أبا محمد أما كان لنا في هذا المال نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقي قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم[٢].

الزهد في الرئاسة والإمارة

من دلائل الرغبة في الدنيا الحرص على الإمارة والتنافس عليها وما يجر ذلك من غيبة ونميمة وكذب وخيانة، ومكر وخديعة، وسوء ظنٍّ بالمسلمين وحسن ظنٍّ بالنفس إلى غير ذلك، من حرص على الإمارة فليعلم أن قلبه متعلِّق بالدنيا، مائل إليها، مؤثر لها والعياذ بالله وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا عبد الرحمن بن سمرة: لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها**»[٣].

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال: «**يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها**»[٤].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٥٦)، (١/ ٣١).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٥٦)، (١/ ٣١).
(٣) رواه البخاري برقم [٧١٤٦]، ومسلم برقم [١٦٥٢].
(٤) رواه مسلم برقم [١٨٢٥]..

يقول الإمام الذهبي عليه رحمة الله عن الصحابي الكريم الجليل عبد الرحمن بن عوف: ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزله نفسه من الأمر وقت الشورى واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان ولو كان محابيًا فيها لأخذها لنفسه أو لولَّاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص، وأورد الذهبي عن المسور بن مخرمة قال: لما ولي عبد الرحمن بن عوف الشورى كان أحب الناس إلى أن يليه؛ فإن ترك فسعد فلحقني عمرو بن العاص فقال: ما ظن خالك عبد الرحمن بالله، إن ولَّى هذا الأمر أحدًا، وهو يعلم أنه خير منه؟ فأتيت عبد الرحمن فذكرت ذلك له فقال: والله لأن تؤخذ مدية[1]، فتوضع في حلقي ثم ينفذ بها إلى الجانب الآخر أحب إلي من ذلك.

وعن عبد الرحمن بن أزهر أن عثمان اشتكى رعافًا[2] فدعا حمران فقال: اكتب لعبد الرحمن العهد من بعدي فكتب له، وانطلق حمران إلى عبد الرحمن فقال: البشرى قال: وماذاك؟ قال: إن عثمان قد كتب لك العهد من بعده فقام بين القبر والمنبر فدعا فقال: اللهم إن كان من تولية عثمان إياي هذا الأمر فأمتني قبله فلم يمكث إلا ستة أشهر حتى قبضه الله[3].

ولما تولى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة قام بعزل خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فاستقبل خالد هذا العزل بدون اعتراض وظل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تحت قيادة أبي عبيدة عليها، وكتب أبو عبيدة حتى فتح الله عليه قنسرين فولاه أبو عبيدة إلى عمر يصف له الفتح وبلاء خالد فيه فقال عمر قولته المشهورة: رحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال مني، هذا وقد عمل

---

(١) مدية يعني سكين.

(٢) عثمان هو ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والرعاف نزول الدم من الأنف وأما حمران فهو مولى عثمان.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٥٠-٥١)، ط. التوفيقية..

خالد تحت إمرة أبي عبيدة نحوًا من أربع سنوات فلم يعرف عنه أنه اختلف عليه مرة واحدة[١].

وعن سفيان عن الأحنف قال: قال لنا عمر بن الخطاب تفقهوا قبل أن تسودوا، قال سفيان لأن الرجل إذا فقه لم يطلب السؤدد[٢].

وعن عامر بن سعد أن أباه سعدًا كان في غنم له، فجاء ابنه عمر فلما رآه قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فلما انتهى إليه قال: يا أبت، أرضيت أن تكون أعرابيًا في غنمك والناس يتنازعون الملك في المدينة، فضرب صدر عمر وقال: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ يحب العبد التقي الغني الخفي**»[٣].

وعن يوسف بن أسباط قال سمعت سفيان يقول: ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرئاسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع الرئاسة حامى عليها وعادى[٤]. قلت: إن هذا المرض -أعني حب الرياسة- مرض خطير مدمر وقلما يتفطن إليه صاحبه، وكم من خير رفع، وكم من دعوات هدمت وكم من عداوات وجدت، وكم عطلت مساجد من ذكر الله ومنعت من إقامة دروس العلم بسبب هذا المرض الخبيث الذي يظل ينخر في القلوب المريضة ويسودها ويؤزها على طلب الرياسة بأي سبيل وأيًا كانت التبعات، إن الشيطان يعميه عن سوى مقصوده، لا يعنيه أن يكون هناك من هو أكفأ منه وأنسب وأحق وأجدر، ولا يعنيه بغض الناس له وتأذيهم به وإنما الذي يعنيه أن يكون هو القائد الآمر الناهي حتى ولو كان فاشلًا جاهلًا، والعجيب

---

(١) «فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب» للصلابي [٤٢٧] ط. التقوى.

(٢) «صفة الصفوة» (٢/ ٢٣٦) وذكره البخاري معلقًا مختصرًا في كتاب «العلم» باب الاغتباط في العلم انظر «الفتح» (١/ ١٩٩-٢٠٠).

(٣) «السير للذهبي» (١/ ١٠٢)، والحديث رواه مسلم برقم [٢٩٦٥].

(٤) «السير للذهبي» (٧/ ٢٦٢).

أن يتلطخ في الحرام فيغتاب وينم ويستهزئ ويحتقر إخوانه ويسيئ بهم الظن ويشكك في نواياهم وفي المقابل يحسن الظن بنفسه ويغتر برأيه عياذًا بالله من غفلة القلب، إن المخلص يزهد في تلك الرئاسة ولو دعي إليها وألزم بها لم يجب إلا على خوف وحذر؛ لأنه يعلم أنها تكليف وليست بتشريف، يعلم أنها أمانة ومسئولية يكون السؤال عنها بين يدي الله يوم القيامة ومن علم خطورة ذلك زهد كل الزهد، ونجا بنفسه وسلم من تبعاتها، والسلامة لا يعدلها شيء، فاللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا.

لمحة من زهد الصالحين

هذا محمد بن واسع وصورة فريدة رائعة في الزهد قد لا يصدقها الماديون الذين سيطرت المادة على قلوبهم وعقولهم ذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية في أحداث سنة ثمان وتسعين في فتح يزيد بن المهلب لجرجان: أصاب يزيد بن المهلب أموالًا كثيرة جدًا فكان من جملتها تاج فيه جواهر نفيسه فقال: أترون أحدًا يزيد في هذا؟ قالوا: لا نعلمه فقال: والله إني لأعلم رجلًا لو عرض عليه هذا لزهد فيه، ثم دعا بمحمد بن واسع -وكان في الجيش- فعرض عليه أخذ التاج فقال: لاحاجة لي فيه فقال: أقسمت عليك لتأخذنه فأخذه وخرج به من عنده فأمر يزيد المهلب رجلًا أن يتبعه فينظر ماذا يصنع بالتاج، فمر سائل فطلب منه شيئًا فأعطاه التاج بكامله وانصرف فبعث يزيد إلى السائل فأخذ منه التاج وعوضه مالًا كثيرًا[1].

قال الحسن البصري: إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يديك أوثق منك بما في يد الله عَزَّوَجَلَّ.

قال مسروق بن الأجدع: إن أحسن ما أكون ظنًا حين يقول الخادم: ليس في البيت قفيز من قمح ولا درهم.

---

(١) «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير (٩/ ٢٠٠).

وقال الإمام أحمد: أسرُّ الأيام إليَّ يوم أصبح وليس عندي شيء. وقيل لأبي حازم الزاهد: ما مالك؟ قال: لي مالان لا أخشى معهما الفقر الثقة بالله، واليأس مما في أيدي الناس، وقيل له: أما تخاف الفقر؟ فقال: أنا أخاف الفقر ومولاي له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى؟![١].

قال الفضيل بن عياض: جعل الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا.

وكان بعض السلف يقول: الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة فيها تكثر الهم والحزن[٢].

عن عون بن عبد الله أنه كان يقول: كم من مستقبل يومًا لا يستكمله، ومنتظر غدًا لا يبلغه، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره[٣].

كان عمر بن عتبة بن فرقد يخرج على فرسه فيقف ليلًا على القبور فيقول: يا أهل القبور قد طويت الصحف وقد رفعت الأعمال ثم يبكي ثم يصف بين قدميه حتى يصبح ثم يرجع فيشهد صلاة الصبح[٤].

عن أبي الضحى قال: غاب مسروق عاملًا على السلسلة سنتين ثم قدم فنظر أهله في خرجه فأصابوا فأسًا فقالوا: غبت ثم جئتنا بفأس بلا عود قال: إنا لله استعرناها نسينا نردها[٥].

---

(١) «جامع العلوم والحكم» ص [٥٠٩] ط. دار ابن رجب.
(٢) «مختصر منهاج القاصدين» ص [٣٣١-٣٣٢]، ط. دار العقيدة.
(٣) «الزهد» لابن المبارك ص [٥٢]، ط. دار الكتب العلمية.
(٤) المصدر السابق ص [٥٦].
(٥) «السير للذهبي» (٤/ ٦٦).

وعن حمزة بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: بلغني أن مسروقًا أخذ بيد ابن أخ له فارتقى به على كناسة بالكوفة قال: ألا أريكم الدنيا؟ هذه الدنيا أكلوها فأفنوها، ولبسوها فأبلوها، وركبوها فأنضوها، سفكوا فيها دماءهم، واستحلوا فيها محارمهم وقطعوا فيها أرحامهم[١].

وعن مسلمة بن عبد الملك قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه فإذا عليه قميص وسخ فقلت لفاطمة بنت عبد الملك: يا فاطمة، اغسلي قميص أمير المؤمنين قالت: نفعل إن شاء الله ثم عدت فإذا القميص على حاله فقلت: يا فاطمة ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين فإن الناس يعودونه؟ قالت: والله ما له قميص غيره.

وقال مالك بن دينار يقولون: مالك زاهد وإنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها[٢].

وعن شعيب بن حرب قال: قال لي الثوري: يا أبا صالح، احفظ عني ثلاثًا إذا احتجت إلى شسع فلا تسأل، وإن احتجت إلى ملح فلا تسأل واعلم أن الخبز الذي تأكله بملح عجن، وإن احتجت إلى ماء فاستعمل كفيك فإنه يجري مجرى الإناء.

وعن عبد العزيز القرشي قال: سمعت سفيان يقول: عليك بالزهد يبصرك الله عورات الدنيا، وعليك بالورع يخفف الله عنك حسابك، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك[٣].

وعن الرمادي قال سمعت عبد الرزاق وذكر أحمد، فدمعت عينه وقال: قدم وبلغني أن نفقته نفدت فأخذت عشرة دنانير وعرضناها عليه فتبسم وقال: يا أبا بكر

---

(١) «الحلية» لأبي نعيم (٢/ ٩٦٩)، ط. مكتبة السعادة.

(٢) «السير للذهبي» (٥/ ١٣٤).

(٣) «الحلية» (٦/ ٣٨٢)، (٧/ ٨).

لو قبلت شيئًا من الناس قبلت منك ولم يقبل مني شيئًا[١]. ويقول عنه العليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أتته الدنيا فأباها، والرياسة فنفاها، وعرضت عليه الأموال، وفوضت إليه الأحوال وهو يرد ذلك بتخفف، وتعلل وتقلل ويقول: قليل الدنيا يجزي وكثيرها لا يجزي ويقول: أنا أفرح إذا لم يكن عندي شيء ويقول: إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس وإنما هي أيام قلائل.

قال المروزي: رأيت أحمد بن عيسى المصري ومعه قوم من المحدثين دخلوا على أبي عبد الله بالعسكر فقالوا له أحمد: يا أبا عبد الله، ما هذا الغم؟ الإسلام حنيفية سمحة وبيت واسع فنظر إليهم وكان مضطجعًا فلما خرجوا قال: ما أريد أن يدخل عليَّ هؤلاء[٢].

وهذا شيخ المحدثين البخاري محمد بن إسماعيل عليه رحمة الله قال محمد بن أبي حاتم سمعت سليمًا -يعني ابن مجاهد- يقول: ما رأيت بعيني منذ سنتين أفقه ولا أورع ولا أزهد في الدنيا من محمد بن إسماعيل[٣].

وعن عمر بن حفص الأشقر قال: كنا مع محمد بن إسماعيل بالبصرة نكتب الحديث ففقدناه أيامًا فطلبناه فوجدناه في بيت وهو عريان وقد نفد ما عنده ولم يبق معه شيء فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم، حتى اشترينا له ثوبًا وكسوناه، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث[٤].

قال الفضيل بن عياض: حرام على قلوبكم أن تصيب حلاوة الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا.

---

(١) «السير» (١١/ ٢٢٩).

(٢) «السير» (١١/ ٣٢٤).

(٣) «السير للذهبي» (١٢/ ٤٤٩).

(٤) «تاريخ بغداد» (٢/ ١٣)، ط. دار الكتب العلمية.

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: ليس الشأن في أكل الشعير ولبس الصوف الشأن أن تعرف الله بقلبك ولا تشرك به شيئًا، وأن ترضى عن الله وأن تكون بما في أيدي الله أوثق منك بما في أيدي الناس[1].

أي أخي، هذه حياة الزاهدين الذين كانوا بالله ودينه عالمين، وكانوا بحقيقة الدنيا والآخرة عارفين فاقتد بهم وسر على دربهم وخذ بهديهم وأنت إلى دار تقبل إليها أقرب منك إلى دار ترحل عنها.

يا ساكن الدنيا تأهب ... وانتظر يوم الفراقِ
وأعد زادًا للرحيل ... فسوف يحدى بالرفاقِ
وابك الذنوب بأدمع ... تنهلُّ من سحب المآقي
يا من أضاع زمانه ... أرضيت ما يفنى بباقِ

وقد قيل كذلك:

ستنقلك المنايا عن ديارك ... ويبدلك الردى دارًا بدارك
وتترك ما غيث به زمانًا ... وتنقل من غناك إلى افتقارك
فدود القبر في عينيك يرعى ... وترعى عين غيرك في ديارك

الغثائية ثمرة الوهن

حينما تكون الدنيا في أيدينا لا في قلوبنا فإننا حينئذ نمتلك أسباب الارتقاء والعلاء، والعز والتمكين، ودحر أعداء الدين، وسحق الماكرين المتربصين، أما حين يضعف الإيمان في القلوب بحب الدنيا والركون إليها؛ فإننا سوف نظل نتجرع الذل، ونتألم من القهر والهوان ولن يرفع ذلك إلا بعودة الثقة الحقيقية فيما عند الله، والاستعلاء على الشهوات والانتصار على الرغبات الخسيسة التي تميل إليها النفوس وتستطيبها القلوب الغافلة اللاهية العابثة، إن واقع الأمة المر، الذي يؤلم كل حر، ما هو إلا نتيجة حتمية

(١) «السير» (٨/ ٤٣٥)، (٩/ ٣١٤).

لهـذا المرض الذي اسـتقرت أسـبابه واسـتحكمت أعراضه في نفـوس الجماهير العريضة مـن المسـلمين؛ أنى سرت وجـدت بلادة وبلاهة تزكـم الأنوف وتـؤذي الأرواح، ترى انشغالًا عجيبًا بترهات الدنيا وسفاهاتها، وإعراضاً أعجب عن الآخرة والعمل بها وهذا لعمر الله سـبب ما نحن فيه من ذُلٍّ وهوان لأهل الكفر والزيغ والإلحاد والفسـاد، تأمل معي هذا الحديث المشـهور ولكن كم يغيب معناه عن كثير من المسـلمين، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يوشـك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**» قالوا: أو من قلة نحن يومئذٍ يا رسـول الله؟ قال: «**أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله المهابة من قلوب عدوكم منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن**» قيل: وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»[1]. وهذا هو السرطان المدمر، والجرثومة الخبيثة التي سرت في كثير من النفوس فصرفتها عن الدين وشغلتها كل الشغل بالدنيا عياذًا بك اللهم.

الزهد ليس هو الفقر

الدعوة إلى الزهد ليسـت دعوة إلى الفقر؛ وإنـما المراد عدم ركون القلب إلى الدنيا، بل إن الإسـلام يدعو المسـلم إلى أن يـبرع ويتفوق ويخدم دينه بمالـه وعقله وجميع طاقاته وإمكانياتـه، إن نـشر الديـن يحتاج مع صدق النية ورسـوخ العلم إلى المـال فالمال عصب الحيـاة ونعـم المـال الصالح للرجـل الصالح، نحتاج مـن أبناء الأمـة أن يكونوا مهرة في التجـارة والصناعات والاختراعات وغير ذلك من وسـائل التقدم، لكن الذي لابد من التنويه عليه هو أن تكون الدنيا في اليد لا في القلب، وليست الدنيا مذمومة على كل حال بل المذموم فيها ما يشغل عن الله، والدنيا مزرعة الآخرة، وسبيل التزود إليها،

إنمـــا الـــدنـيـــا إلى الجنـــــة والـــنـــــار طـــريـــق
والـــلـــيـــالـــي مـــتـــجـــر الإنـــســـان والأيـــــام ســـوق

(١) رواه أبو داود برقم [٤٢٩٩]، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم [٩٥٨].

وخرج ابن أبي الدنيا بإسناد قال عنه الحافظ ابن رجب فيه نظر: أن عليًّا سمع رجلًا يسب الدنيا فقال: إنها لدار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، مسجد أحباء الله، ومهبط وحيه، ومصلى ملائكته، ومتجر أوليائه، اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة، فمن ذا يذم الدنيا وقد آذنت بفراقها، ونادت بعيبها، ونعت نفسها وأهلها، فمثلت ببلائها البلاء وشوقت بسرورها إلى السرور فذمها قوم عند الندامة وحمدها آخرون حدثتهم فصدقوا وذكرتهم فذكروا[1]. وقال الفضيل بن عياض لابن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة ونراك تأتي بالبضائع كيف ذا؟ قال: يا أبا علي، إنما أفعل ذا لأصون وجهي وأكرم عرضي، وأستعين به على طاعة ربي قال: يا ابن المبارك، ما أحسن ذا إن تم ذا[2].

قال سعيد بن جبير: متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة، وما لم يلهك فليس بمتاع غرور، ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منه.

وقال يحيى بن معاذ: وكيف لا أحب دنيا قدر لي فيها قوت أكتسب به حياة أدرك بها طاعة الله أنال بها الآخرة.

سئل أبو صفوان الرعيني: ما هي الدنيا التي ذمها الله في القرآن التي ينبغي للعاقل أن يجتنبها؟ فقال: كل ما أصبت في الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم، وكل ما أصبت فيها تريد به الآخرة فليس منها.

وقال الحسن: نعمت الدار كانت الدنيا للمؤمن وذلك أنه عمل قليلًا وأخذ زاده منها إلى الجنة، وبئست الدار كانت للكافر والمنافق وذلك أنه ضيع لياليه وكان زاده منها إلى النار[3].

---

(١) «جامع العلوم والحكم» [٥٢٠]، ط. دار ابن رجب، «أدب الدنيا والدين» للماوردي [١٢٣].

(٢) «السير للذهبي» (٨/ ٣٨٧).

(٣) «جامع العلوم والحكم» [٥١٩].

موعظة صادقة

أيها المغتر بالدنيا، المغتر بغرورها، المفتون بها اعلم أنها إلى زوال وأنت منها إلى انتقال، وكم نصحتك الدنيا بعبرها وأحداثها، وكم رأيت مصارع أهلها، وتقلب الأحوال بالسكارى بحبها، فاعقل حقيقة وجودك فيها وتزود منها واجعلها بلاغًا إلى الآخرة.

قد نادت الدنيا على نفسها ... لو كان في العالم من يسمعُ
كم واثق بالعمر أفنيته ... وجامع بددتُ ما يجمع

قال يحيى بن معاذ: لو يسمع الخلائق صوت النياحة على الدنيا في الغيب من ألسنة الفناء لتساقطت قلوبهم منهم حزنًا، وقال بعض الحكماء: الدنيا أمثال تضربها الأيام للأنام، وعلم الزمان لا يحتاج إلى ترجمان، وبحب الدنيا صمت أسماع القلوب عن المواعظ، وما أحث السائق لو شعر الخلائق[1].

الدنيا دار كدر، بذلك جرى القدر، فإن صفا عيش لحظة ندر، ثم عاد التخليط فبدر، الورود فيها كالصدر، ودم قتيلها هدر، بلاؤها متتابع متواصل، وسيفها إذا ضربت سيف فاصل، وحرصها على الحقيقة مفاصل، وخيرها مظنون وشرها حاصل[2].

أين الذين كانوا في اللذات يتقلبون، ويتجبرون على الخلق ولا يغلبون، مزجت لهم كئوس المنايا فباتوا يتجرعون ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾.

مدوا أيديهم إلى الحرام، وأكثروا من الزلل والآثام، وكم وعظوا بمنثور ومنظوم من الكلام لو أنهم يسمعون ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾.

---

(١) «جامع العلوم والحكم» [٥٢١].

(٢) «التبصرة» لابن الجوزي [٢٧٣] ط. دار الحديث.

حمل كل منهم في كفن، إلى بيت البلى والعفن، وما صحبهم غيره من الوطن، من كل ما كانوا يجمعون ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾

ضمهم والله التراب، وسد عليهم في ثراهم الباب، وتقطعت بهم الأسباب، والأحباب يرجعون ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾

أين أموالهم والذخائر، أين أصحابهم والعشائر، دارت على القوم الدوائر ففيم أنتم تطمعون ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾

شغلوا عن الأهل والأولاد، وافتقروا إلى يسير الزاد، وباتوا من الندم على أخس مهاد، وإنما هذا من حصاد ما كانوا يزرعون ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾

أين الجنود والخدم، أين الحُرم والحرم، أين النِّعم والنَّعم، بعدما كانوا يربعون فيما تعون ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾

لو رأيتهم في حلل الندامة، إذا برزوا يوم القيامة، وعليهم للعقاب علامة، يساقون بالذم لا بالكرامة، إلى النار فهم يوزعون ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾

يا معشر العاصين قد بقي القليل، والأيام تنادي: قد دنا الرحيل، وقد صاح بكم إلى الهدى الدليل، إن كنتم تسمعون ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾[1].

وقد قيل:

هي الدنيا تقول بملء فيها ... حذار حذار من بطشي وفتكي

ولا يغرركم مني ابتسام ... فقول مضحك والفعل مبكي

وقال الإمام الشافعي:

وما هي إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همهن اجتذابها

فإن تجتنبها كنت سلمًا لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابها

(١) «التبصرة» لابن الجوزي [٢٧٣] ط. دار الحديث.

وقد قيل:

يا من تمتع بالدنيا ولذتها ... ولا تنام عن اللذات عيناه
أفنيت عمرك فيما لست تدركه ... تقول لله ماذا حين تلقاه؟!

وقد قيل:

يا خاطب الدنيا إلى نفسها ... تنحَّ عن خطبتها تسلم
إن التي تخطب غرارة ... قريبة العرس من المأتم

وقد قيل:

وكيف يلذ العيش لمن كان موقنًا ... بأن المنايا بغتة ستعاجله
وكيف يلذ العيش لمن كان موقنًا ... بأن إله العرش لابد سائله

وقد قيل:

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت ... أن السلامة فيها ترك ما فيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها
أين الملوك التي كانت مسلطنة ... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
واعمل لدار غد رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيش نابت فيها
أنهارها لبن مصفى ومن عسل ... والخمر يجري رحيقًا في مجاريها
والطير تجري على الأغصان عاكفة ... تسبح الله جهرًا في مغانيها
فمن يشتري الدار في الفردوس يعمرها ... بركعة في ظلام الليل يحييها

مما يعين على الزهد

الزهد من أعمال القلوب لا من أعمال الجوارح قال أبو سليمان الداراني: لا تشهد لأحدٍ بالزهد فإن الزهد في القلب[١]، والزهد كبقية الأعمال القلبية يزيد بزيادة الإيمان وينقص بنقصانه، ومما يبعث على الزهد في الدنيا التفكير في حقيقتها وتقلبها بأهلها وما فيها من أكدار، وأنها لا تصفو لأحدٍ قط، وكذلك التدبر في كلام الله عَزَّوَجَلَّ والوقوف على الآيات التي تذكر حقيقتها، وحقيقة الآخرة وخلودها وجزاء الفائزين بها وعقوبة المعرضين عنها، وكذلك إدامة النظر في سير الصادقين المتقين الذين عاشوا حياتهم على مراد ربهم لا وفقًا لأهوائهم، وصارت مواقفهم النبيلة جامعة تربوية باقية يردها كل قاصد، وينتفع بها كل ناظر وسامع، ومن ذلك ما ذكره الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: والذي يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء:

أحدها- علم العبد أن الدنيا ظلٌّ زائل وخيالٌ زائر، فهي كما قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ [الحديد: ٢٠]. وسمَّاها الله متاع الغرور، ونهى عن الاغترار بها وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين وحذرنا مثل مصارعهم، وذم من رضي بها واطمأن إليها.

والثاني- علمه أن وراءها دارًا أعظم منها قدرًا وأجل خطرًا، وهي دار البقاء فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها.

والثالث- معرفة وإيمانه الحق بأن زهده فيها لا يمنعه شيءٌ كتب له منها، وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها، فمتى تيقن ذلك ثلج صدره وعلم أن مضمونه منها سيأتيه، فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد في الدنيا وتثبت قدمه في مقامه[٢].

---

(١) «جامع العلوم والحكم» [٥٠٨].

(٢) «طريق الهجرتين» باختصار [٣٨٢-٣٨٣] ط. دار ابن القيم بالدمام.